

قريش تفاوض الرسول ﷺ

أهداف الدرس

- 1 - أن أتعرف ظروف مفاوضة قريش للرسول ﷺ.
- 2 - أن أدرك أهداف قريش من مفاوضة الرسول ﷺ.
- 3 - أن أتمثل ثبات الرسول ﷺ في الدفاع عن الحق.

تمهيد

بعد فشل قريش في مواجهة سياسة البطش والتكيل، قررت تغيير أسلوبها مع الرسول ﷺ، لعلها تقنعه بالتراجع عن الدعوة لدين الهدى والحق، فتتال باللين ما لم تصل إليه بالشدّة والقوة، لذا قررت الانتقال إلى أسلوب المفاوضة والترغيب.

فلمن فوضت أمر هذه المهمة؟ وكيف جرت أطوار هذه المفاوضات؟ وما هي العبر التي نستخلصها من هذه الأحداث؟

النص

«فَقَامَ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ أَمْوَالَنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ

مُلْكًا مَلَكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رُئْيَا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ
 طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ. حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ: فَاسْمَعْ مِنِّي، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ: ﴿لِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ جَمْرٌ تَنْزِيلُ
 مَعَى الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①﴾ كِتَابٌ بُصِّلَتْ - آيَاتُهُ، فُرِئَ أَنْ عَرَبِيَّةً الْقَوْمُ يَعْلَمُونَ ②﴾ بَشِيرًا
 وَنَذِيرًا عَرَضَ أَكْثَرُهُمْ قَدُومَ لَا يَسْمَعُونَ ③﴾ وَقَالُوا فُلُوبُنَا فِي أَكْنَةِ مِمَّا تَدْعُونَا
 إِلَيْهِ وَفِيءَا إِنَّا وَفَرُّومٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حَبَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّا عَلِيمُونَ ④﴾ فَلِإِنَّمَا أَنَا
 بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوجِبُ إِلَى أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾. [فَصَلَتْ: 1 - 5].

[الرحيق المختوم للمباركفوري ص: 94 - 95].

الفهم

الشرح:

سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا: سَادَ قَوْمَهُ يَسْوُدُهُمْ سِيَادَةً فَهُوَ سَيِّدُهُمْ. أَي زَعِيمُهُمْ وَقَائِدُهُمْ يَأْتَمِرُونَ
 بِأَمْرِهِ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنْ يَجْعَلُوا الرَّسُولَ ﷺ زَعِيمًا لِقُرَيْشٍ.
 فِي أَكْنَةٍ: الْأَكْنَةُ جَمْعُ كَنٍّْ وَهُوَ مَا يَحْفَظُ فِيهِ الشَّيْءُ، أَي: فِي أَغْشِيَةٍ.
 وَقَرَّ: الْوَقْرُ هُوَ الثَّقَلُ، أَي: لَا نَسْمَعُ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ اسْتِثْقَالًا لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ
 وَكَرَاهَةً لَهُ.

استخلاص المضامين:

- 1 - أسردُ أهم ما عرضه عتبة على الرسول ﷺ.
- 2 - أبين كيف تعامل الرسول ﷺ مع أساليب قريش لثنيه عن الدين.

أولا: عتبة يفاوض رسول ﷺ

لم يزد إيذاء قريش الرسول ﷺ والمسلمين معه إلا ثباتا على دينهم وإصرارا على إظهار الدعوة ونصرة الحق. فاحتار المشركون وانقطعت حيلتهم في إيقاف نجاح الدعوة الإسلامية، وبدأت الشكوك تساورهم، خاصة بعد إسلام حمزة رضي الله عنه؛ لذا قبلوا بسرعة اقتراح أحد قاداتهم - وهو عتبة بن ربيعة - مفاوضة النبي ﷺ حينما قال لهم: «ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزدون ويكثرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه» [سيرة ابن هشام ج 1 ص 293 - 294].

ذهب عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ وجلس يحاوره، وكان ذكيا لبقا في الحوار، ينتقي كلماته، فبدأ كلامه بأن رفع من قدر رسول الله ﷺ بنادئه يا ابن أخي، معترفا بما هو عليه ﷺ من رفعة المنزلة والمكانة وشرف النسب؛ ثم انتقل بعد المدح والثناء بمكر ودهاء لمعاتبة النبي ﷺ على تفريق قريش، وتسفيه أحلامها، وتحقير آهتها. ثم ختم كلامه بمحاولة إغراء رسول الله ﷺ لعله يجد منفذا يخلص به قريشا، فعرض على رسول الله ﷺ المال والحكم والسيادة، والعلاج إن كان به مس. لكن رد النبي ﷺ كان حاسما حكيما ومقنعا؛ وذلك بأن قرأ على عتبة آيات من بداية سورة فصلت، فلم يتمالك عتبة نفسه من قوة ما سمع من الحق وأخذ الرعب والفرع، فقام إلى الرسول ﷺ ووضع يده على فمه، وجعل يناشده بالله والرحم أن يتوقف.

عاد عتبة إلى قومه منهزما مذهولا، ودعاهم أن يتركوا الرسول ﷺ وشأنه، وقال: «سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يامعشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه

بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال : هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم». [الرحيق المختوم للمباركفوري ص: 95].

وهكذا فشلت كل محاولات قريش في منع رسول الله ﷺ من مواصلة الدعوة إلى الله.

ثانياً: قريش تحاول تعجيز الرسول ﷺ

انتقلت قريش بعد فشل عتبة في إقناع الرسول ﷺ بالمساومة إلى أسلوب السخرية والتحدي والتعجيز، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آلَ نُوْمٍ لَّمَّا حَسَرْنَا تَعْجِيرَنَا مِنْ آلِ زُرَّيْنِ يَنْبُوعاً ۙ ۝٩٠ أَوْ تَكُونُ لِمَآئِنَ مَّرْجٍ لِّ وَعِيبٍ مُّتَبَجِّراً ۖ ۝٩١ أَلَمْ تَسْفِكْ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَافاً أَوْ تَأْتِي بَالِدٍ أَوْ الْمَلِكَةِ فَبِئْسَ ۝٩٢ أَوْ يَكُونُ لِمَآبِئٍ مِّنْ زُرْحٍ أَوْ تَرَفٍّ فِي السَّمَاءِ وَلَىٰ نُؤْمِنُ بِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نُّفَرِّقُ ۚ ۝٩٣ فَلَسْبِحْ بِرَبِّ قُلُوبٍ قَدْ كُنْتَ إِلَّا بُشْرًا رَسُولاً ۝٩٤﴾ [الإسراء 90 - 93]

فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن قبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم. قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جناحاً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم، وتلتمس المعاش كما تلتسمه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً». [سيرة ابن هشام ج1 ص: 294 - 297].

ثالثاً: أهتدي وأقتدي

نستنتج من فشل مفاوضة قريش الرسول ﷺ ثباته على الحق، ومحبته لربه عز وجل، فقد حاول المشركون إغراءه بالمال والسيادة والجاه، لكنه رفض تلك المغريات. وفي ذلك دليل على صدق نبوته ﷺ، فهو لا يتصرف من تلقاء نفسه بل بأمر ربه، مستمسكاً بالعروة الوثقى، مقدماً لأمته القدوة في الثبات على الحق، والوفاء بعهد الله، والإيثار لمرضاته تعالى، والحرص الشديد على تبليغ الخير للناس.

التقويم

- 1 - أذكر أهم مراحل التفاوض بين قريش والرسول ﷺ.
- 2 - استخلص دوافع قريش للتفاوض.
- 3 - ما العبر والدلالات التي تستخلص من موقف الرسول ﷺ بعد التفاوض.

الاستثمار

«لَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ ... عُتْبَةَ بْنَ رَيْبَعَةَ وَأَمْثَالَهُ لِحِمْلِ هَذِهِ الدَّوَافِعِ وَالْأَمَالِ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ ﷺ لِيُنَالَهَا قَرِيبَةً سَائِغَةً، وَلِيُبْصِرَ قُرَيْشاً كُلَّهَا وَقَدْ دَانَتْ لَهُ، وَأَلْقَتْ مِنْ يَدِهَا مَا رَفَعَتْهُ مِنَ السَّلَاحِ وَوَسَائِلِ التَّعْذِيبِ فِي وَجْهِهِ وَوَجْهِ أَصْحَابِهِ، ... لَمْ يَلِنْ الرَّسُولُ ﷺ لَهُمْ وَلَمْ يَتَحَوَّلْ إِلَى هَذِهِ الْغَنِيمَةِ الَّتِي سِيقَتْ إِلَيْهِ، ... فَقَدْ كَانَ مِنَ الْمُتَصَوِّرِ فِي بَابِ الْحِكْمَةِ وَالسِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ أَنْ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ بِالزَّعَامَةِ وَالْمُلْكِ ... وَسَبِيلَةً إِلَى تَحْقِيقِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ فِيمَا بَعْدُ، ... وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرْضَ مِثْلَ هَذِهِ السِّيَاسَةِ وَالْوَسِيلَةِ ... إِنَّ فَلَسَفَةَ هَذَا الدِّينِ تَقُومُ عَلَى عِمَادِ الشَّرَفِ وَالصِّدْقِ فِي كُلِّ مِنَ الْوَسِيلَةِ وَالْغَايَةِ» [فقه السيرة للبوطي ص: 90 / 92 بتصرف].

- 1 - أستخرج من النص ما يبين تراجع قوة قريش من خلال تفاوضها مع النبي ﷺ.
- 2 - أستنتج من النص القيم الإسلامية الثابتة في كل الظروف والأحوال.

الإعداد القبلي

اقرأ في كتب السيرة ما يتعلق بمقاطعة قريش للمسلمين ولبنى هاشم.